

تفسير ابن كثير

* إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا^ج وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا^ج

ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة التي بها تقوم السماء والأرض عن أمره ، وما جعل فيهما

من القوة الماسكة لهما ، فقال : (إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا) أي : أن

تضطربا عن أماكنهما ، كما قال : (ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه) [

الحج : 65] ، وقال تعالى : (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره) [الروم : 25]

(ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده) أي : لا يقدر على دوامهما وإبقائهما إلا هو

، وهو مع ذلك حلیم غفور ، أي : يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه ، وهو يحلم فيؤخر

وينظر ويؤجل ولا يعجل ، ويستر آخرين ويغفر ؛ ولهذا قال : (إنه كان حلِيمًا غفورًا)

.وقد أورد ابن أبي حاتم هاهنا حديثا غريبا بل منكرا ، فقال : حدثنا علي بن الحسين بن

الجنيد ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثني هشام بن يوسف ، عن أمية بن شبل ، عن

الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم يحكي عن موسى ، عليه السلام على المنبر قال : " وقع في نفس موسى عليه السلام

: هل ينام الله عز وجل فأرسل الله إليه ملكا ، فأرقه ثلاثا ، وأعطاه قارورتين ، في كل

يد قارورة ، وأمره أن يحتفظ بهما . قال : فجعل ينام وتكاد يداه تلتقيان ، ثم يستيقظ

فيحبس إحداهما عن الأخرى ، حتى نام نومه ، فاصطفت يداه فتكسرت القارورتان .

قال : ضرب الله له مثلا إن الله لو كان ينام لم تستمسك السماء والأرض " . والظاهر أن

هذا الحديث ليس بمرفوع ، بل من الإسرائيليات المنكرة فإن موسى عليه السلام أجل من

أن يجوز على الله سبحانه وتعالى النوم ، وقد أخبر الله تعالى في كتابه العزيز بأنه : (الحي

القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض) [البقرة : 255] .

وثبت في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري ، رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم : " إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع

إليه عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل ، حجاب النور أو النار ، لو كشفه

لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه " . وقد قال أبو جعفر بن جرير :

حدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي وائل قال :

جاء رجل إلى عبد الله - هو ابن مسعود - فقال : من أين جئت ؟ قال : من الشام . قال :
من لقيت ؟ قال : لقيت كعبا . قال : ما حدثك كعب ؟ قال : حدثني أن السماوات تدور
على منكب ملك . قال : أفصدقته أو كذبتة ؟ قال : ما صدقته ولا كذبتة . قال : لوددت
أنك افتديت من رحلتك إليه براحتك ورحلها ، كذب كعب . إن الله تعالى يقول : (إن
الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده)
وهذا إسناد صحيح إلى كعب وإلى ابن مسعود . ثم رواه ابن جرير عن ابن حميد ، عن
جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : ذهب جندب البجلي إلى كعب بالشام ، فذكر نحوه
 . وقد رأيت في مصنف الفقيه يحيى بن إبراهيم بن مزين الطليطي ، سماه " سير الفقهاء " ،
أورد هذا الأثر عن محمد بن عيسى بن الطباع ، عن وكيع ، عن الأعمش ، به . ثم قال :
وأخبرنا زونان - يعني : عبد الملك بن الحسن - عن ابن وهب ، عن مالك أنه قال : السماء
لا تدور . واحتج بهذه الآية ، ويحدث : " إن بالمغرب بابا للتوبة لا يزال مفتوحا حتى
تطلع الشمس منه " . قلت : وهذا الحديث في الصحيح ، والله أعلم .